موسيقى

معهد الموسيقى العربية في برلين

تزامن افتتاح أول معهد للموسيقى العربية في برلين، مع رزوح المدينة الألمانية تحت إجراءات إغلاق جديدة تطلبتها مواجهة مستمرة لموجة ثانية من الجائحة العالمية كوفيد-19. فقد انطلق أول النشاطات والفعاليات رقمياً على الإنترنت

كانت الفعاليات الموسيقية تقتصر على أداء الحفلات وبعض الدروس (العربي الجديد)

في المدينة مُتّسع للغناء

علي موره لي

وكأنّ العاصمة الألمانية، خلال السنين العشرين الأخيرة، ظلت تسير بعناد عكس اتجاه المزاج السائد. لجهة أنّها ما زالت تسعى إلى أن تكون لها ولنمط المعيشة فيها سمة الكونية، وأن تبقى مُنفتحة على التعددية الثقافية، وإن على مستويات تبدو متباينة، منها النوعي العميق، ومنها أحياناً الكمّي، الدعائي السياسي والسطحي. لكنّ برلين، في كلتا الحالين، تبرُز اليوم، في عتمة السحب الهويّاتية والشعبوية والنزعات الانعزالية المقلقة، الحاضرة الكوزموبوليتية الأكثر إشراقاً وإصراراً طوباوياً على التمسك بالانفتاح والاضطلاع بدور المدينة الأثينية، حبّ سقراط وحلمه، والحصن المنيع للعالمية.

من هنا، كان لا بدّ لبرلين، عاجلاً أو آجلاً، من أن تحتضن مشروعاً واعداً بتأسيس أول معهد للموسيقى العربية، يُموّله بصورة جزئية برنامج «إقلاع» (Durchstarten)، وهو واحدٌ من عدة برامج تُطلقها مؤسسة «المِنَح البرلينية لدعم مشاريع التربية الثقافية» (Berliner Projektfonds Kulturelle Bildung)، فيما يقوم عليه، إدارةً وتدريساً، شبابٌ سوري طموح من بين جالية عربية تُشكل اليوم ما يزيد على أربعة في المائة من مجمل سكان المدينة، وجزءاً حيوياً من حراكها الفني والثقافي.

يتوجه المعهد بزاوية منفرجة، أولاً، نحو العرب الموجودين في العاصمة الألمانية، ممن قد يسعى إلى أصر الصلة موسيقياً مع التراث العربي. وثانياً، المجموع الواسع والمتعدد من البرلينيين، أكانوا مواطنين ألماناً، أم مقيمين ومهاجرين، ممن لديهم الشغف، أو حتى الفضول، حيال اكتشاف الموسيقى العربية، سواء بتعلم واحدة من آلاتها الرئيسية التي تُتيحها دروس المعهد العملية، وهي العود والقانون والناي والكمان والإيقاع، أو بالمعرفة النظرية، من طريق تعلّم المقامات والإيقاعات والقوالب الشرقية. لئن تزامن افتتاح المعهد بصورة رسمية، في أول إبريل/ نيسان الماضي، مع رزوح المدينة تحت إجراءات إغلاق جديدة تطلبتها مواجهة مستمرة لموجة ثانية من الجائحة العالمية كوفيد-19، فقد انطلق أول النشاطات والفعاليات رقمياً على الإنترنت، وذلك تقيّداً بقواعد التباعد ومنع التجمهر والتجمع، التي بات يألفها الجميع وأمست من عاديات الحياة.

> يتوجه المعهد نحو العرب وغير العرب الموجودين في برلين

عن معهد الموسيقى العربية في برلين، عن وجهته ومستقبله، كان لنا حديث مع مديره، العازف وأستاذ العود والملحن نبيل أربعين، وعازف الكمان وأستاذه والباحث الموسيقي زاهر القاعي.

في مدينة باتت تُعد إحدى الكوزموبوليتيّات الأكبر والأهم في العالم، التي تؤوي العديد المتنوع من الجاليات من كلّ أنحاء العالم، كيف يرى نبيل معهد الموسيقى العربية، حديثَ الولادة، دوراً راهناً ومستقبلياً في تعزيز التعددية الثقافية التي يُباهى بها اليوم خصلةً برلينية؟ نسأل نبيل أربعين، ليجيب: «توجد جالية عربية كبيرة في برلين، وأصبحت هذه الجالية أكبر بعد عام 2015. لكنّنا أحسسنا بأنّ تمثيلها الثقافي لا يتناسب مع حجمها. فالفعاليات الموسيقية تقتصر على أداء الحفلات وبعض الدروس المقدمة من بعض الأساتذة. لهذا، ارتأينا إنشاء منصة لتقديم فرص تعليمية متخصصة بالموسيقى العربية للبرلينيين، سواء من العرب أو من غيرهم، وهي متوافرة أساساً باللغة العربية والألمانية والإنكليزية، بالإضافة إلى لغات أخرى لبعض الآلات. ونحن نرى أنّ هذه المنصة إضافة وتمثيل حقيقي لتنوع سكان المدينة الثقافي.

يضيف: «وكما أنّ الحاجة إلى هذا المعهد متوافرة، فإنّ عناصره أيضاً كانت مكتملة من خلال توافر مدرسين ومدرسات بحاجة إلى منصة تساعدهم على تقديم دروسهم وخبراتهم، إضافة إلى كونها ملتقى الفنانين ومجال تنسيق مشاريع جماعية وورشات عمل من أجل توثيق النشاط الفني الغني والمميز لفناني هذه المدينة وفناناتها. كذلك إنّ المعهد - إلى جانب كثير من المعاهد الموسيقية في المدينة - يغطي الحاجة التعليمية لكلّ الأعمار ولكلّ الجنسيات».

وعند الحديث عن تنوع المشهد الثقافي في برلين، نتساءل: كيف يمكن المعهد الحديث إبراز الخصائص الجاذبة للموسيقى العربية، وذلك ضمن تنوع أخصّ داخل الموسيقى الشرق أوسطية ذاتها من تركية وفارسية وغيرها، مع الأخذ بالاعتبار مثلاً وجود جالية تركية وإيرانية، كبيرة وعريقة ومتجذرة، سواء في عموم أوروبا أو ألمانيا بعاصمتها برلين على وجه التحديد. هنا، يجيب زاهر القاعي: «لا شك في أنّ تنوع المشهد الثقافي في برلين ميزة كبيرة لهذه المدينة، لكنه قد يشكل تحدياً في الوقت نفسه. فقد يسأل سائل عمّا إذا كانت المعاهد الموسيقية ومدرسو الموسيقى التركية والفارسية ومدرساتها يغطون بالفعل ما يُسمى الموسيقى العربية من خلال نشاطاتهم، ولا سيما أنّ هذه الموسيقات (تركية، فارسية، عربية) تُجمَع تحت مصطلح الموسيقى الشرقية (oriental music)، الذي رغم ارتباطه الواضح بالكولونيالية والفكر الأوروبي المركزي، بات يستعمل من قبل أبناء هذه الثقافات أنفسهم، نظراً لشيوعه». ويوضح القاعي: «مع ذلك، هنالك قواسم مشتركة بين هذه الموسيقات، بالإضافة إلى موسيقات أخرى، كالكردية والسريانية والبيزنطية واليونانية والأمازيغية وغيرها. إلا أنّ خصائصها تضيع عند جمعها، تبسيطاً لها، تحت مسمى موسيقى شرقية، علاوة على ارتباط المصطلح بموسيقى الآخر، وظاهرة الأخرنة في الفكر الأوروبي».

يضيف: «انطلاقاً من ردّ فعلٍ إزاء رؤية كهذه، أتت فكرة المعهد بتقديم وجهة نظر الموسيقى العربية بوصفها أحد مكونات شبكة الموسيقات الشرقية تلك. مكونٌ، له أيضاً ما يميزه، من حيث أساليب الأداء والتأليف واستخدام المقامات. بالإضافة إلى الاختلاف البديهي للغات التي تغنى بها هذه اللهجات الموسيقية إن صحّ التعبير».

لافتٌ حضور أساتذة من غير العرب ضمن طاقم المُوجّهين الذي يقدم الدورات من دروس وورش. هناك الآنسة الإيطالية فالانتينا بيلّانوفا Valentina Bellanova أستاذة الناي، والياباني شنغو علي ماسودا Shingo Ali Masuda أستاذ آلة القانون.

أفكار غير واضحة

عن طبيعة المشاركين في المعهد، سواءٌ أكانوا من الشرق الأوسط، أم أنهم متعددو الهويات، يقول زاهر القاعي: «من خلال مشاركتنا في المشاريع الموسيقية، لاحظنا بعض الأفكار غير الواضحة عن الموسيقى العربية، أو حتى الغياب الكلي لها. لذا، جاءت ورشة العمل لتقديم المعلومات والمفاهيم المتعلقة بها، وذلك بنيّة تقديمها كشبكة علاقات بين مجموعة متنوعة من الممارسات الموسيقية».

أخبار

عند التاسعة والنصف من مساء الخميس المقبل، تقيم «دار الأوبرا المصرية»، على خشبة «مسرح دمنهور»، حفلاً تستعيد فيه الموسيقي المصري الراحل **بليغ حمدي**، إذ تقدّم خلاله مجموعة من أبرز الأغاني التي لحّنها.

أصدرت فرقة **Greta Van Fleet**، ألبوماً بعنوان The Battle at Garden's Gate. وهو الألبوم الثاني في مسيرة الفرقة، التي تمكنت حين أصدرت ألبومها الأول Anthem of the Peaceful Army من خلق حالة من الجدال لدى عشاق الروك.

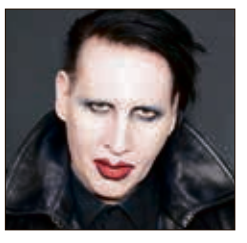

تقدمت الممثلة البريطانية، إيسمي بيانكو، التي عرفها الجمهور في دورها ضمن مسلسل «صراع العروش»، بشكوى، الجمعة، ضد المغني الأميركي **مارليين مانسون**، متهمة إياه بالاغتصاب والاعتداء الجنسي السادي والعنف المتكرر.

أصدرت فرقة الروك الأميركية **Cheap Trick** ألبوماً جديداً يحمل عنوان In an other world، وهو الإصدار العشرون في مسيرة الفرقة، التي مضى على تأسيسها قرابة 50 عاماً. يضم العمل الجديد 13 أغنية.

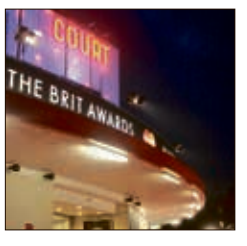

تقرر أن يقام احتفال توزيع جوائز **بريت** البريطانية لموسيقى البوب في 11 مايو/أيار الجاري، بحضور أربعة آلاف شخص، في إطار تجارب تجريها الحكومة، تمهيداً للسماح بتنظيم النشاطات الجماهيرية مجدداً رغم الجائحة.

ديناصور جونيور
جرعة زائدة من النوستالجيا

عمر بقبوق

قبل أيام، أصدرت فرقة «ديناصور جونيور» ألبوماً جديداً بعنوان Sweep It Into Space، وهو الألبوم الثاني عشر في مسيرة فرقة الروك الأميركية، التي بدأت مسيرتها قبل 35 سنة.

فرقة «ديناصور جونيور» التي كان اسمها «ديناصور» في الثمانينيات، قبل أن تُجبَر على تعديل الاسم، كانت في ذلك الوقت تمثل حالة نوستالجية خاصة بموسيقى الروك، إذ مالت في عصر الروك الذهبي إلى استخدام صوت مميز للغيتارات، يعود إلى الروك في الستينيات وبداية السبعينيات، بأسلوب يعتمد على تمديد الارتدادات الصوتية وتعزيز التشويه.

بهذه النزعة القائمة على فهم عميق لعناصر موسيقى الروك وتطورها، أسهمت «ديناصور جونيور» في رسم معالم تيار الروك البديل في التسعينيات؛ إذ رسمت خطاً خاصاً لموسيقى الروك، في المساحة الفاصلة ما بين ما قدمته «رولينغ ستونز» وكلاسيكيات الروك حينها، وما بين موسيقى البوب روك والبانك روك التي كانت طاغية.

بعد مضي الزمن وتقادم الأجيال، وتغير مفهوم الروك الكلاسيكي بحكم اتساع رقعة جمهوره، ليشمل البانك روك وباقي الأنماط التي ظهرت «ديناصور جونيور» للتمرد عليها بتأثير رجعي؛ أثر ذلك في هوية الفرقة نوعياً، لتجد نفسها في بداية الألفية أمام نفق مظلم، اضطرها إلى تغيير طريقها بعد فترة من التوقف التام. لكنّ الفرقة عادت لتنشط في العقد الأخير، بعدما مرت بكلّ تلك التقلبات وفترات الخمول والفتور التي كان لها دور برسم شكلها الجديد.

> تلازم أغاني الألبوم حالة من الثبات العاطفي والموسيقي

ظهرت «ديناصور جونيور» للتمرد على المفاهيم الكلاسيكية السائدة (Getty)

الألبوم الجديد يتكون من 12 أغنية، وهي بمثابة جرعة زائدة من النوستالجيا، تراعي أذواق الأجيال المتلاحقة من عشاق الروك واختلافاتهم على مدى أربعة عقود. نزعة النوستالجيا تبدأ مبكراً في الألبوم، مع الأغنية الافتتاحية العاطفية I ain›t، التي تعتمد على كلمات قليلة مكررة للتعبير عن حالة كئيبة ناجمة عن الوحدة، وتنتهي بكلّ مقاطعها بعبارة واحدة متحورة: Wish you›d bring me home، لتكون أمنية العودة إلى البيت هي الصرخة الأولى والأكثر أثراً في البداية.

هذه الحالة تخفت في بعض مسارات الألبوم، وتزداد حدتها في مسارات أخرى. ففي أغنية To Be Waiting، تذكر كلمات مثل التحرر والتغيير والقفز بالزمن إلى الأمام، لتوحي بوجود رغبة دفينة تنتظر شيئاً ما للتغيير التام. لكنّ هذه الحالة تبقى ضمن إطار واحد، فترافقها دوماً الإشارة إلى الزمن الطويل التي كانت حاضرة فيه وتنتظر، لتنتهي الأغنية بالتشديد على استمرارية الانتظار ضمن حالة غريبة من الاستقرار.

حالة الثبات، عاطفياً وفكرياً وموسيقياً، تلازم كلّ أغنية وكلّ مقطع من الألبوم، حتى في الوقت الذي تبدو فيه الأمور على وشك التحول، فإنّ هذه الصورة سرعان ما تتعدل، كأنّها لحظة درامية تُضاف لتثير الموضوع وتعيد تركيبه مجدداً بذات الأسلوب. ذلك ما نلاحظه في أغنية I Ran Away، التي يرد في لازمتها: I ran away، I gave it up today. Who could I blame، It can›t be true لتكون خاتمة اللازمة تدحض كلّ مؤشر للتغيير.

هذه الأغنية أكثر الأغاني اقتراناً بالتمرد ونزعة التغيير، رغم جملها الاعتراضية، لكنّ نهايتها تعيدنا إلى الحالة نفسها التي كنا نشعر بها قبل الوصول إليها، إذ يرد فيها: I ran away. It can›t just be this way، that›s where I›ll stay to wait for you.